حكايات ألف ليلة وليلة

هي موروث شعبي يمتلك مقومات وجوده كأثر أدبي نوعي يدخل بقوة في موضوعة التراث والتراثية، إنها إرث حضاري فكري ثقافي مدوّن موصوف بأنه من أوسع ماكتب بطريقة التخيل والخيال.إنه اكثر الموروثات قراءة واعظمها غرابة من حيث الخرافة والأساطير. وفي هذا الصدد يقول الشاعر الفرنسي باتريس دولاتوردوبان «الشعب الذي لا اساطير له يموت من البرد».لقد وصفتها دائرة المعارف الاسلامية بأنها «أشهر مجموعة عربية حظيت باهتمام الأدباء والشعراء والروائيين والسينمائيين في العالم اجمع» وقد وضعت حولها دراسات وتعقيبات تناولتها بالبحث والتحقيق نيلت على أثرها شهادات عليا في مجال التخصص والابداع.ونظرا لتنوع المعالجات الأدبية فيها يعني هذا أنها ليست من كتابة أديب واحد بل كتبتها وأنشأتها اجيال متعاقبة منذ أوائل العصر العباسي حيث ذكرها المسعودي في كتابه (الفهرست) المتوفي سنة ٣٤٦هـ.في بغداد كان نشوؤها اولاً حيث مقر الدولة العباسية ثم تلتها قصص مصرية حدثت وقائعها في القاهرة في عصر المماليك وازدات هذه الحكايات كما ونوعاً حتى القرن السابع عشر الميلادي.أما علاقتها بالأدب المقارن فهي متأتية من كون الأدب المقارن هو عملية تفاعل ادبي تضافرت فيه الجهود الثقافية واخرجته كأدب إنساني، فقد امتلكت الصفات العالمية التي يمتلكها أن التأثر لايمحو الاصالة بل يعمقها ويغنيها ويوسع آفاقها)) الامر))الأدب المقارن حيث الذي يعد فيه لامارتين مثل ساطع في سماء الأدب المقارن كونه زوّد الأدب الفرنسي بروائع رحلة الى الشرق) بجزأيه)اشعاره ودراساته التاريخية، والمثقفون عموماً يعرفون اهمية كتابه مضافاً الى دراساته الفنية واهتمامه بالعرب كمصدر لحضارة الشرق اذ قدم دراسة مستفيضة عن عنتره بن شداد وسيرته الأدبية.وفي هذا الصدد يقول ڤان تيكن «الأدب المقارن اداة التفاهم العالمي» اذ يوفر هذا الأدب موقفاً ودياً وتفاهماً اخوانياً بين البشرية اي امتلاك مقدمات الحرية الثقافية التي لايمكن بدونها اقامة اي عمل بين الشعوب.وفي هذا المعنى يقول الدكتور محمد غنيمي هلال «عالمية الأدب يراد بها هنا خروج الأدب من نطاق اللغة التي كتب فيها الى أدب لغة او آداب لغات أخرى» . وهذا يسهم في جعل الأدب المقارن مساهماً في توريد المناهل الأدبية العذبة. أي أن عالمية الأدب تعني خروج الآداب من حدودها القومية بدافع التفاعل الأدبي والتغذية الراجعة الى مساندة التعاون الفكري والفني مع بعضه البعض حيث استطاع الأدب العربي أن يسهم في نشر الآداب العالمية منذ القرون الوسطى حين رفد الحضارة في

.اوروبا بذخائر العلوم والنشاطات والآداب العربية
وقد طبعت حكايات ألف ليلة وليلة في فرنسا وحدها اكثر من ثلاثين مرة خلال القرن الثامن عشر وحده وقال عنها فولتير: «انه لم يزاول فن القصص الا بعد ان قرأ الف ليلة وليلة اربع تمنى ان يمحو الله من ذاكرته الف »عشرة مرة» وقال احد القصاصين الفرنسيين المشهورين انه الف ليلة وليلة حتى يعيد قراءتها فيستعيد لذته بها»وكان اثر ألف ليلة وليلة واضحاً في الأدب البيزنطي حيث انتشرت الانماط الشعبية البيزنطية في الشعر على شكل أغانٍ تردد على ألسنة العامة من الناس في القرنين التاسع والعاشر الميلادي تخليداً لاعمال العسكريين البيزنطينين :الذي قتلوا في الحروب التي شنها العرب على بيزنطة ومثال ذلك ملحمة ديجنيس اكرتياس التي كانت في مقدمة الأغاني الشعبية. وفي مجال القصة نجد المستشرق (Digenis Akritas) جون براند برند ١٨٨٧–١٩٥٨ كان اول من اكتشف الصلة التي تربط (ألف ليلة وليلة بسيرة الفارس سيفر) وهو كتاب عن الفروسية حيث كانت فكرة القصة مأخوذة من قصص الف ليلة وليلة.وفي المسرح نجد ان الأدب الاسباني منذ القرن الرابع عشر حتى القرن السادس عشر كان حاملاً مظاهر التأثر العميق بمجموعات القصص العريقة المستمدة من الف ليلة وليلة وكان من بعض شخصياتها زينب النصابة ودليلة المحتالة.وكانت الاندلس بداية اتصال العرب بأوربا لأول مرة في أوائل القرن الثامن الميلادي حين عبر طارق بن زياد مضيق جبل طارق عام ٧١١م وانتصر على (لوذريق) حيث لعبت الاندلس دوراً فعالاً في نقل تراث العرب الى اوربا مضافاً الى التبشير في نشر مبادئ الدين الاسلامي الحنيف. وصقلية المحطة الثانية في نقل تراث العرب في حكايات الف ليلة وليلة حين استولى الأغالبة على جزيرة صقلية عام ٨٢٧م ورسخوا حكمهم فيها عام ٩٠٢م ثم حكمها الفاطميون في مصر وبذا تكون الحضارة العربية قد ازدهرت من خلال الحركة الفكرية التي عمقتها حكايات الف ليلة وليلة مضافاً الى انتشار أثار هذه الحكايات في امصار وبلدان مثل آسيا وأفريقيا كالصين والهند وكشمير والنمسا وجنوه والقسطنطينية وديار بكر واليمن والحبشة والسودان والمغرب حيث جاء فيها وصف لطبقات المجتمع هناك وقدمت وصفاً لأفراحه واتراحه وعاداته وتقاليده. ومن الأدباء العرب الذين كتبوا عن الف ليلة وليلة الدكتورة سهير القلماوي التي هي خير من كتب عن هذه الحكايات حيث قالت ما نصه «أثارت الف ليلة وليلة بعد ان نقلت الى لغات الغرب شغفاً في نفوس الغربيين بجمع الأدب الشعبي ودراسته على نحو لم يكونوا قد بدأوا يحسون الحاجة اليه» فهو يثير للتطلع الى معرفة الشعوب التي تنتج هذا الاثر الادبي المتميز الامر الذي كان دافعاً مباشراً لزيارة البلاد الشرقية.والى جانب الدكتورة سهير القلماوي كان اكثر الباحثين العرب احمد حسن الزيات وجرجي زيدان. ومن الأدباء والكتاب العراقيين الذين اهتموا بحكايات الف ليلة وليلة هما الدكتور محسن جاسم الموسوي والدكتور عبدالجبار محمود السامرائي حيث وصفها الدكتور الموسوي في الموسوعة الصغيرة

تسلسل ٩٢ بأنها «ذلك المزيج الدقيق بين الواقع والخيال بين الطبيعي والعقلاني والخارق والغريب».اما الدكتور عبدالجبار السامرائي فقد وصفها في ص٥ من الموسوعة الصغيرة تسلسل ١١٨ بأنها صورة تأريخية صادقة لحياة المجتمع الشرقي في القرون الوسطى وما كان عليه اصل المجتمع من طبائع وعادات.وتظل حكايات الف ليلة وليلة موروثاً حضارياً وكنزاً أدبياً ثميناً ظل يعيش في وجدان المجتمع في القرون الوسطى وقد حظي باهتمام الأدباء والشعراء في الحقب التاريخية التي مرت فهو ارث شعبي قل نظيره في علم الأدب العربي حين تلقفه الأدب الأوروبي بشغف ورغبة في الاطلاع عليه ولا تزال متعة قراءته سارية المفعول

كذلك ذكر الدكتور زكي مبارك أن فن المقامة قد انتقل أيضًا إلى الأدبين السرياني والعبري؛ نشرها في المجلة الجديدة في مارس سنة "المقامات في الأدب العربي"وذلك في مقالة له بعنوان ولعل الله يقيض المسألة انتقال هذا الفن من :١٩٣٤، وهو ما أشار إليه الدكتور شوقي ضيف ألف ليلة وليلة والموشحات فإذا انتقلنا إلى .العربية إلى السريانية والعبرية من يدرسها هي كذلك ألف ليلة وليلة، والموشحات وتناولنا الصلة بين الأدب العربي والآداب الأخرى في هذا المجال، فأول شيء نتحدث عنه هو التعريف بألف ليلة وليلة وهي كما جاء في المادة المخصصة لها في مجموعة من الحكايات التي روتها شخصية تسمى شهرزاد للسلطان :(الموسوعة العربية العالمية) شهريار، وشهريار ملكٌ عاين خيانة زوجته فتحوّل إلى سفاح يتزوج كل بنت غصبا، ثم يقتلها من ليلتها، حتى ضج الناس وهربوا ببناتهم، ولم يبقَ في تلك المدينة إلا شهرزاد ابنة الوزير، وشهرزاد حاكية هذه القصص شخصية قرأت الكتب وسير الملوك وأخبار الأمم فقالت لأبيها وزير السلطان زوجني هذا الملك؛ إما أن أعيش وإما أن أكون فداء للبنات وسبب لخلاصهن، وكانت تقص على الملك كل ليلة حكاية ثم تسكت عندما يدركها الصباح عند موقف مشوّق مما جعل السلطان يستبقيها لسماع حكاياتها الباقيات، وبفضل هذه الحكايات التي روتها شهرزاد تحولت شخصية ومع أن المسعودي وابن النديم في القرن الرابع .شهريار من شخصية شريرة إلى شخصية خيّرة قريب الشبه في عنوانه وشخصياته (هازار أفسانه)الهجري يشيران إلى كتاب فارسي بعنوان الرئيسية بألف ليلة وليلة، إلا أن ألف ليلة وليلة بتقاليدها القصصية الشفهية التي تناقلتها الأجيال واحتفاظها بصورة مميزة للحياة العربية ورموزها الحضارية عبر العصور خصوصا للعصر المملوكي- تؤكد براعة المخيلة العربية واستمرارية التقليد الشفهي القصصي، إلى أن تم والملاحظ أن الكلام عن هذا الكتاب في التراث العربي شحيح غاية الشحة؛ حتى إننا لا .تدوينها

لابن (الفهرس)للمسعودي و (مروج الذهب)نجد حديثًا عنه تقريبًا إلا في كتابين اثنين هما النديم، والنصان قصيران نسبيّا، وإن كان نص المسعودي أقصر كثيرًا من نص ابن النديم، ولا فيقول المسعودي: إنه قد ذكر كثير من الناس أن هذه أخبار (مروج الذهب)فأما في .يشفي غليلًا موضوعة من خرافات مصنوعة، نظمها من تقرب للملوك بروايتها وصال على أهل عصره بحفظها والمذاكرة بها، وأن سبيلها الكتب المنقولة إلينا والمترجمة لنا من الفارسية والهندية وتفسير ذلك من الفارسية إلى العربية (هازار أفسانه)والرومية وسبيل تأليفها مما ذكرنا مثل كتاب ألف خرافة، والخرافة بالفارسية يقال لها أفسانه، والناس يسمون هذا الكتاب ألف ليلة وليلة، وهو وما فيه (فارزه وسيماس)خبر الملك والوزير وابنته وجاريتها وهما شيرزاد ودنيا زاد ومثل كتاب وأما في .وغيرها من الكتب في هذا المعنى (السندباد)من أخبار ملوك الهند والوزراء، ومثل كتاب الفن الأول في أخبار المسامرين والمخرفين وأسماء الكتب "كتاب ابن النديم فنقرأ تحت عنوان أن أول من صنف الخرافات وجعل لها كتبا وأودعها الخزائن وجعل بعض :"المصنفة في الأسمار ذلك على ألسنة الحيوان الفرس الأُول، ثم أغرق في ذلك ملوك الأشغانية وهم الطبقة الثالثة من ملوك الفرس ثم زاد ذلك واتسع في أيام ملوك الساسانية، ونقلته العرب إلى اللغة العربية،